الفصل الخامس:
اعتراف بنى آدم بالربوبية والألوهية لله رب العالمين وحده والإشهاد على ذلك

وحتى تستقيم الحياة وتصفو السعادة لذرية آدم عليه السلام على وجه الأرض كان لابد أن تعترف هذه الذرية لله رب العالمين بالربوبية والألوهية والوحدانية. وسهل لهم الله عز وجل طريق هذا الإقرار وهم كالذر في ظهر أبيهم آدم. وكان هذا الإقرار منهم أساسا في غاية القوة لسعادة بنى آدم أفرادا وأسر ومجتمعات. وفى ذلك يقول ربنا وهو أصدق القائلين: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾} [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

قال الطبرى رحمة الله عليه في تفسير هاتين الآيتين: " أى اذكر يا محمد إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلك " [1]. وقال ابن عباس " مسح الله ظهر آدم فاستخرج منها كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة وقررهم على ربوبيته ووحدانيته فأقروا بذلك والتزموه " [2]. وروى أحمد حدثنا حسين بن محمد، وحدثنا جرير - يعنى ابن حازم - عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبى صلى

(1) ص52، 53 من القسم الرابع من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة أم القرى بمكة الكرمة

(2) نفس الصفحات من المرجع السابق.

الله عليه وسلم قال:♂**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه كالذر. ثم كلمهم قبلاً، قال: ألست بربكم. قالوا بلى شهدناأن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون**ـــ [1]. ومن أقوى الأدلة التي ساقها الجمهور دليلا على أخذ الميثاق على الذرية - ما قاله الإمام أحمد: حدثنى حجاج، حدثنى شعبة، عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:♂**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بى شيئا، فأبيت إلا أن تشرك بى**ـــ [2]. وفى مجال الإشهاد على ذرية آدم باعترافهم بالله ربا وإلها واحدا.

قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب في قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} فجمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ} الآية: قال: فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن لا تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا، وإنى سأرسل إليكم رسلا ينذروكم عهدى وميثاقى، وأنزل عليكم كتابى. قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا. لا

(1) ص33من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى - قبلا: عيانا.

(2) رواه أحمد في مسنده(3 /127، 129حلبى).

رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا يومئذ بالطاعة. ورفع أباهم آدم فنظر إليهم، فرأى فيهم الغنى والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك. فقال: يا رب لو سويت بين عبادك؟ فقال: إنى أحب أن أُشكر " الرواية.[1]

وتم هذا الإقرار والإشهاد بين يدى الله تعالى على رأى من قال به ثم أعادهم إلى ظهر آدم، إلى أن تتاح لهم فرصة الخروج إلى الحياة الدنيا فيوفون بعهدهم وينفذون إقرارهم. ويجعلون الله تعالى القدير إلههم ومعبودهم الأوحد. ويلتمسون منه وحده العون في كل أمور حياتهم. فإذا فعلوا ذلك كانوا في قمة السعادة؛ لأنه سبحانه يكون ناصرهم ومؤيدهم وهاديهم إلى ما يوفر لهم التوفيق والسعادة والهناء في الدارين.

ويضم ابن كثير رأيه إلى رأى بعض العلماء الذين رأوا أن إشهاد الله على بنى آدم بأنه ربهم لا رب لهم غيره ولا إله لهم سواه - لم يَرِدْ إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وفى حديث عبد الله بن عمرو وهما موقوفان لا مرفوعان[2].

ومن جملة الأحاديث التي ذكرها في هذا الموضع أحاديث مرفوعة يتصل نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالحديث المرفوع اصطلاحا هو ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[3] أو صفة.. وأما الحديث الموقوف فهو في الاصطلاح ما أضيف إلى الصحابى من قول أو فعل أو تقرير. ولا

(1) رواه الأئمة عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم، وابن جرير، وابن مردويه في تفاسيرهم من طريق أبى جعفر ص34 من قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى.

(2) ص254، من ج2 من كتاب تفسير بن كثير.

(3) ص128، 129، 130من كتاب تيسير مصطلح الحديث - للدكتور محمود الطحان.

أريد أن أخوض أكثر من ذلك في مصطلح الحديث، ولذلك نجده قد عبر عن الرأى الذي رجحه بعض السلف والخلف بقوله: " ومن ثم قال قائلون من السلف ومن الخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وعياض بن حمار المجاشعى. ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**كل مولود يولد على الفطرة**ـــ الحديث وقد سبق ذكره. وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**يقول الله: إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم**ـــ [1]..

وسواء كان الإشهاد قد وقع كما ورد في الأحاديث السابقة أو كان المقصود به فطر بنى آدم على التوحيد فإن الإشهاد بهذا المعنى أو ذاك، يعنى أن الله عز وجل قد اختار لبنى آدم طريق الأمان والسعادة في دنياهم وآخرتهم فيجب أن يتوارثوا هذا الطريق صغارا ويعملوا من أجل الأمان والسعادة كبارا عن طريق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والأخذ بتعاليم الإسلام والتمسك بها. يقول الحق تبارك وتعالى: {**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢]. ويقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :♂**أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور: فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**ـــ

(1) ص251ج2من كتاب تفسير ابن كثير - اجتالتهم: حبستهم ومنعتهم.

...[1]

* * *

(1) ص47من كتاب مختار الأحاديث النبوية - النواجذ: الأضراس.